



فصورها في هيئة وقوعها كما وقعت ، واستخرج القصص  
المرسلة فأدارها حواراً كما جاءت في السنة أهلها ؛ وهذه  
الطريقة أعاد التاريخ حياً يتكلم وفيه الفكرة وملائمتها  
وشياطينها ، وكشف ذلك الجمال الروحاني فكان هو الفن ،  
وجلا تلك النفوس العالية فكانت هي الفلسفة ، وأبقى على تلك  
البلاغة فكانت هي البيان . كانت السيرة كاللؤلؤة في الصدفة ،  
فاستخرجها لجماها اللؤلؤة وحدها

\*\*\*

إن هذا الكتاب يفرض نفسه بهذه الطريقة الفنية البديعة ،  
فليس يمكن أن يقال إنه لا ضرورة لوجوده ، إذ هو الضروري  
من السيرة في زمننا هذا ، ولا يُقْتَمَرُ فيه أنه تحريف وتزوير  
وتلفيق ، إذ ليس فيه حرف من ذلك ؛ ولا يردُّ بأنه آراء  
بخطى الخطى منها ويصيب المصيب ، إذ هو على نص التاريخ  
كما حفظته الأسانيد ؛ ولا يرمي بالفنائه والزكاه وضعف  
النسق ، إذ هو فصاحة العرب الفصحاء الخلدس كما رُوت  
بألفاظها ؛ فقد حصنه المؤلف بحميمنا لا يُقْتَمَرُ ، وكان في عمله  
مخلصاً أتم الاخلاص ، أميناً بأوفى الأمانة ، دقيقاً كل الدقة ،  
حذراً بفاية الحذر

ومن فوائد هذه الطريقة أنها هيأت السيرة للترجمة إلى  
اللغات الأخرى في شكل من أحسن أشكالها رغم هذا الزمن  
على أن يقرأ بالإنجاب تلك الحكاية المنفردة في التاريخ الانساني ؛  
كما أنها قرّبت وسهلت فجعلت السيرة في نصها العربي كتاباً  
مدرسياً بليفاً بلاغة القلب واللسان ، مريباً للروح ، مرهفاً  
للذوق ، مصححاً للملكة البيانية

وحسب المؤلف أن يقال بعد اليوم في تاريخ الأدب العربي :  
إن ابن هشام كان أول من هدّب السيرة تهديفاً تاريخياً على نظم  
التاريخ ، وأن توفيق الحكيم كان أول من هدّبها تهديفاً فنياً  
على نسق الفن

عبد الرحمن بن عبد الله

« محمد »

## كتاب توفيق الحكيم للأستاذ مصطفى صادق الرافعي

عمل الأستاذ توفيق الحكيم في تصنيف هذا الكتاب  
أشبهُ شيء بعمل « كريستوف كولومب » في الكشف عن  
أمريكا وإظهارها من الدنيا للدنيا ؛ لم يخاف وجودها ولكنه  
أوجدتها في التاريخ البشري ، وذهب إليها فقبل جاء بها إلى  
العالم ، وكانت معجزته أنه رآها بالعين التي في عقله ، ثم وضع  
بينه وبينها الصبرَ والمائةَ والحدقَ والملم حتى انتهى إليها  
حقيقة مائة

قرأ الأستاذ كتب السيرة وما تناوبها من كتب التاريخ  
والطبقات والحديث والشبائل ، بقرينة غير قرينة المؤرخ ،  
وفكرة غير فكرة النقيب ، وطريقة غير طريقة المحدث ،  
وخيال غير خيال القاص ، وعقل غير عقل الزندقة ، وطبيعة  
غير طبيعة الرأي ، وقصد غير قصد الجدال ؛ فخلص له الفن  
الجميل الذي فيها إذ قرأها بقرينته الفنية المشبوبة ، وأمرها على  
إحساسه الشاعر المتوثب ، واستأهلها من التاريخ بهذه القرينة  
وهذا الاحساس كما هي في طبيعتها السامية متجهة إلى غرضها  
الآلهي محققة عجائبها الروحانية المعجزة

وقد أمدته السيرة بكل ما أراد ، وتناولت له على ما اشتغى ،  
ولانت في يده كما يلين الذهب في يد صائغه ؛ فجاء بها من  
جوهرها وطبيعتها ليس له فيها خيال ولا رأي ولا تعبير ،  
وجاءت مع ذلك في تصنيفه حافلة بأبداع الخيال ، وأسمى الرأي ،  
وأبلغ العبارة ؛ إذ أدرك بنظره الفنية تلك الأحوال النفسية  
البليغة ، فنظمها على قانونها في الحياة ، وجمع حوادثها المدونة